

مجلّة المصباح

# العلاقات الخليجية العربية بعد حرب الخليج

بقلم : سعادة الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة

تحت هذا العنوان نظم مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية بجامعة الكويت ندوة شارك فيها عدد كبير من الباحثين والمؤرخين طرحوا بأبحاثهم عدداً من الأفكار حول تداعيات أكبر كارثة تعرض لها الخليج في تاريخه المعاصر وهي حرب الخليج وفي هذا السياق أقول

إن الأخوة العربية - كانت ومازالت - إحساساً راسخاً في وجدان العربي الكبير، وكانت الأخوة الخليجية - ومازالت - ركناً ركيناً في وجدان القيادات الخليجية والشعوب التي تحيا على هذه الساحة التي شاء قدرها أن تكون في بؤرة الاهتمام العالمي والعربي على السواء، وبينما الأمور تراوح بين تحفظات الواقع وحلم الوحدة

الكبرى في الهدف والمصير والطريق، انصبت كارثة الغزو العراقي لتعصف بالواقع والحلم معاً وتحول الإحساس الراسخ في وجدان أبناء الخليج إلى دخان غطى مع الدخان المنبعث من الآبار المحترقة، سماء المنطقة بالأسى والذهول .

لقد جاء الغزو العراقي للكويت الشقيق صدمة اهتزت معها أشياء كثيرة، وتغيرت معها أشياء أكثر وهي صدمة هزت الجسد العربي كله هزات عنيفة، ووضعت العالم العربي كله، الذي كان يكافح لسنوات طويلة من أجل لم شتاته وتوحيد كلمته، على حافة هاوية سحيقة من التفكك والتشرذم والانقسام .

أما لماذا كان هذا الغزو صدمة فذلك يعود في رأيي وبإيجاز شديد لعدة أسباب منها :

**أولاً :** أن الأصول الواحدة التي تجمع بين الشعوب العربية والمتمثلة في اللغة العربية والدين الواحد والتقاليد والأعراف العربية الأصلية المنحدرة عبر قرون والتي تشكل الوجدان الواحد للشعوب العربية كلها قد صاغت نسيج ما نطلق عليه "الأخوة العربية" هذه الأخوة كانت واقعاً فرض نفسه على كثير من النظريات التي حاولت التسلل إلى المنطقة طوال تاريخها واحتفظت لهذه الشعوب بنسيج واحد ترتخي خيوطه أحياناً وتشتد أحياناً أخرى ولكنه موجود دائماً أمام أنظار صناع القرار، له اعتباره وله احترامه عند رسم الاستراتيجيات ووضع السياسات ولم يكن "الغدر العربي"، أمراً وارداً على الإطلاق عند وضع هذه السياسات ذلك أن الأخوة العربية كانت تشكل الوجدان العربي الكبير والواحد وأي خطة تصطدم مع

ذلك كان معناها أنها تعارض أو تناقض هذا الوجدان وبالتالي فهي خطة لا تنطوي على عناصر البقاء ويكون استبعادها أمراً منطقياً وتوفير تكاليفها نوعاً من الحكمة أمام صناع القرار .

**ثانياً :** عندما تورط العراق في حربه مع جارته إيران، قامت شقيقاته الخليجيات وابتداءً من سنة ١٩٨٢ أي بعد قيام مجلس التعاون بعام واحد بمساعدته بكل ما تستطيع، بل وبأكثر مما تستطيع في كثير من الأحيان وعلى الرغم من أن هذه الحرب لم تكن حرباً خليجية إيرانية، وعلى الرغم من أن الكثيرين لم يكونوا من أنصار قيامها ولا من أنصار استمرارها، خاصة وأنها بين بلدين مسلمين، إلا أن الأموال استمرت في التدفق تأكيداً للالتزام أدبي وهو أن مساعدة الأخ أمر واجب، ومن هنا ما كان أحد يتصور أن يتحول الرصاص الذي اشترى بأموال الخليج إلى صدور أبناء الخليج وهي الصدور التي ساعدت ودعمت وآزرت وما كان أحد يتخيل أن تغير الجحافل اتجاهها إلى أرض شقيقة وجار شقيق.

**ثالثاً :** لم يكن هناك دافع واحد يمكن أن يشكل أمام القيادات الخليجية إنذاراً باعتداء محتمل ذلك أن مشاكل الحدود معروف أنها لعبة استعمارية أريد بها أن تكون محور قلق للشعوب العربية، وكل القيادات العربية تدرك ذلك، وتدرك أنه في إطار الأمل في وحدة عربية كبرى على أي شكل من الأشكال، فإن الخلاف حول شريحة من الأرض، يجب ألا يأخذ حجماً أكبر من حجمه، وأن كل خلاف من هذا النوع يمكن حله بصورة أو بأخرى وعلى المائدة التي يسودها الروح العربي وطبقاً للحاجة الماسة لكل أخ شقيق.

**وايحاً :** أن العراق بنى قوة عسكرية عملاقة كانت محور فخار كل عربي ، هذه القوة التي وصفتها بعض المصادر العسكرية بأنها القوة الرابعة في العالم كانت تمثل دعماً للعرب في مواجهة الصلف والتعننت الإسرائيلي ، وكانت تجعل العدو التقليدي للمصير العربي في تل أبيب يحسب ألف حساب لكل خطوة يخطوها والمتتبع للتصريحات السياسية الإسرائيلية في فترة ما قبل الغزو سوف يلاحظ مدى الخوف الإسرائيلي من القوة العراقية ولجوءهم المستمر للولايات المتحدة الأمريكية بهدف الحفاظ على التوازن العسكري الذي كان يرهق وبصورة ملحوظة موارد العدو ويمثل ضغطاً كبيراً على السياسة الإسرائيلية العدوانية ، وبالتالي ما كان أحد يتصور أن تتجه هذه القوة التي كانت حديث كل عربي إلى لون من الانتحار العسكري لم يشهده تاريخ الحروب خاصة وأن صناع القرار العراقي كانوا يعلمون جيداً أنهم يستهدفون منطقة تمثل شريان الحياة لبعض القوى الكبرى في العالم ويدركون بالتالي أن أي عدوان على هذه المنطقة أو أي جزء منها لا يمكن أن يكون نزهة عسكرية ، أو أمراً يمكن أن يمر بسلام .

لهذه الأمور وغيرها كثير كان الغزو صدمة هزت الجسد العربي كله ، بل وأحدثت هزة في العالم ، فإذا أضفنا إلى ذلك الصورة التي تم بها الغزو والوحشية التي صاحبتة وهي الوحشية غير المفهومة وغير المبررة والتي عصفت بكثير من القيم التي تربت عليه القيادات والشعوب العربية ، لأدركنا ولو من بعيد حجم الكارثة .

وعندما وقع الغزو عمت الفرقة العالم العربي ، ومنذ الساعات الأولى لوقوع الكارثة ظهر على الملأ أنها كانت أمراً مبيتاً تم الإعداد له في الخفاء ، تأكد ذلك من تأييد بعض الشقيقات للعراق ، بعضها من أجل حفنة دولارات وبعضها من أجل أطماع قديمة وأحلام تحلق في الخيال بعيداً بعداً سحيقاً عن معطيات الواقع . . وظهر من تتابع الأحداث وتلاحقها صدق قول الشاعر العربي :

جزى الله الشدائد كل خير . . وإن كانت تجرعني بريقي  
وما حبي لها شغفاً ولكن . . عرفت بها عدوي من صديقي  
لقد كان الغزو موقفاً غريباً وعجيباً ، وكان لابد أن تقوم على أساسه مواقف جديدة وعلاقات جديدة طبقاً لردود الفعل التي ظهرت عقب الغزو وطبقاً لموقف كل دولة معه أو ضده وهو أمر منطقي ، وإذا كنا هنا بصدد الحديث عن العلاقات الخليجية العربية بعد حرب الخليج فإن هذا لا يمنع من القول بأن الغزو نفسه شجبتة كل دول العالم سواء الدائرة العالمية أو الدائرة الإسلامية ، تعكس ذلك اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة واجتماعات مجلس الأمن وما صدر عنهما من قرارات تم تنفيذها فيما بعد بتشكيل القوة متعددة الجنسيات التي قامت بتحرير الكويت ، أما العلاقات الخليجية العربية فقد أخذت عدة صور سواء على المستوى الشعبي أو الرسمي منها :

**أولاً :** أنه فور وقوع الغزو فتح مواطنو الخليج قلوبهم وبيوتهم وحساباتهم لإخوتهم الذين شردهم الغزو وتسابق أبناء الخليج ودوله على استضافة إخوتهم من الكويت الذين تعرضوا للمحنة في صورة



رائعة من الشهامة والنخوة كان لها أثر كبير في رأب الصدع النفسي الذي أحدثه الغزو وفي إعادة بعض الثقة في بعض القيم التي سحقتها أقدام الغزاة ولا بد لي هنا أن أشيد بموقف خادم الحرمين الشريفين أعزه الله وأيده وموقف حكومته المتميز .

**ثانياً :** في الوقت الذي لجأت فيه بعض الدول العربية إلى إبعاد الكويتيين المقيمين على أرضها، فتحت بعض الدول العربية الأخرى أبوابها دون قيد أو شرط لاستقبالهم وخصصت لهم كل ما يحتاجون إليه بل إن الكثيرين من مواطني هذه الدول كانوا يتسابقون لتقديم كل ما يلزم إخوانهم ويرفضون تقاضي أي مقابل في صورة راحة للتلاحم .

**ثالثاً :** كان طبيعياً أن تثار المأساة في بيت العرب وهو الجامعة العربية وداخل قاعات الجامعة كانت الصورة واضحة أشد الوضوح وظهرت للعيان وأمام الميكروفونات مواقف كل دولة عربية مما حدث، واستهلكت الجامعة وقتاً طويلاً في نقاش وحوار وشجار، ولكن قرارها ظل أسير معادلة "الأغلبية أو الإجماع" وإن كانت هذه اللقاءات قد أظهرت بوضوح موقف كل دولة عضو وهو ما يمكن الرجوع إليه من متابعة هذه اللقاءات والمناقشات والتصريحات في صحف تلك الأيام ورغم كل ذلك فقد بقيت دول الخليج جزءاً من البيت العربي ولم تحاول الانسحاب مدركة أن ذلك قد يسبب انهياراً لهذا التجمع الذي لا يضر وإن كان في كثير من الأوقات لا ينفع .

**رابعاً :** عندما ظهرت مواقف بعض الدول العربية المؤيدة للعدوان سواء بدعمها السافر للغزو أو في دفاعها عنه عبر لقاءات الجامعة وعبر التصريحات الرسمية التي توالى صدورها عنها إبان

الغزو وفي أعقابه حرصت السياسة الخليجية على أن تظل بينها وبين هذه الدول شعرة معاوية، وعلى الرغم من أن مثل هذه المواقف كانت كافية لقطع كل علاقة ولحشد كل دواعي الغضب ولاتخاذ كل إجراءات التأثير كما حدث في ظروف مماثلة في تاريخ العالم، إلا أن ما قُدِّم من أضرار وجد من يسمعه وما قُدِّم من اعتذار وجد من يقبله وظلت الأبواب مفتوحة أو منفرجة لم توصل، بل إن بعض دول المنظومة الخليجية وهي دول جريحة من آثار الغزو كانت هي التي سعت وتسعى للصالح.

**خامساً :** بادرت دول عربية شقيقة باتخاذ مواقف شجاعة أكدت بها إحساسها العربي بالنجدة ورفض الظلم ومقاومة العدوان، وقد تجلّى ذلك في مواقف دول إعلان دمشق التي لم تكتف بالدعم السياسي والأدبي وإنما حشدت قواتها لتكون في مقدمة قوات التحرير والتي قدم أبناؤها أرواحهم لتحقيق هذا الهدف النبيل وكان طبيعياً أن تتشكل علاقة دول الخليج بهذه الدول فيما بعد على أساس هذا الموقف الشجاع الذي ترجم بصدق ما تعودنا ترديده عن الأخوة العربية والتآزر العربي.

**سادساً :** تحددت بصورة أوضح وعلى محك التجربة أهمية مجلس التعاون الخليجي الذي حاول البعض أن يصوره على أساس أنه تكتل إقليمي منفصل عن الجسد الكبير وتأكد للجميع أنه تجمع عربي يمثل إضافة للحشد الواحد وأنه اجتماع في نسيج العروبة وداخل في كيان الجامعة العربية ليس بعيداً عنها وليس بديلاً لها وليس منفصلاً عن تكوينها وليس تباعداً عن تشكيلها وليس إضعافاً

لأركانها وإنما هو جزء أصيل يساعد كثيراً في توحيد الكلمة ودعم الصف ونموذجاً لما يجب أن يكون عليه العمل في مناطق من العالم العربي تجمعها خيوط متشابهة وروابط متماثلة وأن هذا لا يعني من قريب أو بعيد أنه تقتل ضد أحد، أو تجمع يستهدف العدوان على أحد، وإنما هو خطوة على درب العروبة، يؤكد ذلك أن دول المجلس ورغم ثقل الكارثة لم تنغلق على نفسها فيما تلا من سنوات وإنما ظلت كما كانت جزءاً أساسياً من العمل العربي والمسيرة العربية تشارك وتساهم وتدعم .

بدأت محاولات رآب الصدع الكبير عقب التحرير بسنة واحدة، وقد تصدى لهذه المحاولات بعض الإخوة من القيادات العربية والخليجية ورغم أن الجرح عميق إلا أن النوايا الطيبة لا تكفي لعلاج ولو بعض آثاره وإنما كان لابد أن يدعم هذه النوايا عمل إيجابي ولم يكن هناك أهم من إطلاق سراح الأسرى الكويتيين الذين مازالوا محتجزين بالعراق طوال ما يقرب من ست سنوات دون مبرر على الإطلاق تماماً مثلما كان الغزو دون مبرر وعلى الرغم من الاستعداد الطيب الذي عبرت عنه السياسة الكويتية إلا أنه لا يقابل باستعداد مماثل من الجانب الآخر إضافة إلى أشياء أخرى .

كانت هذه جولة عابرة حول بعض ملامح الموضوع وبقيت هناك ملاحظتان :

**الأولى :** أنني حاولت أن ألجأ للتعميم ولم أحاول أن أذكر أسماء دول بعينها رغم علمي أن ذلك يمثل ضرورة لمثل هذا العرض وذلك لأن الموضوع مازال حديثاً والجرح مازال نازفاً ولأنه يتناول علاقات



بين دول شقيقة يحاول المخلصون ليل نهار أن يصلحوا فيها ما فسد وما تسببت فيه بعض السياسات الطائشة، وهذا يمثل - لي شخصياً - بعض الصعوبة والحرّج لأن المطلوب على المستوى الرسمي هو تكريس النوايا الحسنة والتغاضي قدر المستطاع عما يثير الحساسية أو الجفوة، ولأن ما يجري من محاولات من وراء الكواليس قد لا يمكن - ومن أجل المصلحة العامة - الكشف عن تفاصيله .

**الثانية :** أن على العالم العربي أن يدرك وبوعي حقيقي أن خلافات الحدود يمكن أن تتخذ ذريعة لتفتح الباب لشور قد لا يمتد أثرها المدمر للساحة العربية وحدها، إنما يمتد إلى آفاق أبعد من ذلك، وأن يدرك أيضاً أن هذه المشاكل وضعت لهذا الهدف الذي لا يمكن أن يسفر إلا عن ضياع الإمكانات العربية وتكريس الخلافات والصدوع في جسد يعاني أصلاً من هذه الخلافات والصدوع .

**عبد الله بن خالد آل خليفة**